وجوه الخيانة
في القرآن الكريم

د. بشار عبد اللطيف علوان
كلية الشريعة والقانون/ قسم الفقه

المقدمة

الحمد لله الذي فرض على العباد أداء الأمانة، وحرم عليهم المكر والخيانة، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بها النجاة يوم القيامة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختم الله به الرسالة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الموصوفين بالعدالة.

وبعد:

فإن الله تعالى عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، وألزم عباده بالقيام بما أوجبه عليهم من الطاعة له ولرسوله ﷺ، ونهاهم عن الخيانة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1]، فالخيانة نقص في الإيمان وسبب للخسران والحرمان وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[2].

كما أن ظاهرة انعدام الصدق وضياع الأمانة وتفشي الخيانة وانتشارها بين المسلمين اليوم لظاهرة خطيرة للغاية، حيث شملت أغلب وجوه الحياة ولم يسلم منها وجه واحد، حتى لكأن الكثير من المسلمين لم يؤمروا في شريعة ربهم بأمانة، ولم ينهوا عن الخيانة مع أن نصوص الشرع تقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[3]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[4]، ويقول النبي ﷺ: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[5].

فالخيانة أمر مذموم في شريعة الله، وهذه النصوص السابقة كافية لمعرفة جريمة الخيانة ومدى قبحها وشؤمها، فالخائن لا يحبه الله، بل قرن الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾[6]، والخائن وإن اندس بين الناس، وعرف كيف يرتب أموره بحيث لا يفتضح أمام العباد، فأين يذهب يوم القيامة، ألم يفكر في الفضيحة في ذلك اليوم، وسوف ترفع له راية يوم القيامة أمام الناس، فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل غادر لواء يوم القيامة قال أحدهما ينصب وقال الآخر يرى يوم القيامة يعرف به**»[7].

وحرصا مني على تعليم الناس وإرشادهم إلى أداء الأمانة وترك الخيانة، فقد كتبت عن هذا الموضوع بحثا بعنوان (وجوه الخيانة في القرآن الكريم) مبتغيا به خدمة الأمة الإسلامية وخدمة القرآن العظيم ذلك الكتاب الخالد الذي لا يخلو الناظر فيه إلى نور ما يريه أو نفع ما يوليه.

وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم على النحو التالي:

تمهيد: وفيه تعريف الخيانة لغةً واصطلاحاً، ثم تطرقت إلى الوجوه التي وردت بها الخيانة في القرآن الكريم وهي خمسة وجوه وسأخصص لكل وجه من هذه الوجوه مبحثاً لتفصيل القول فيه وكالآتي:

المبحث الأول: الخيانة بمعنى المعصية.

المبحث الثاني: الخيانة بمعنى السرقة.

المبحث الثالث: الخيانة بمعنى نقض العهد.

المبحث الرابع: الخيانة بمعنى الخلاف في الدين.

المبحث الخامس: الخيانة بمعنى الزنا.

أما الخاتمة فقد سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

تمهيد
تعريف الخيانة لغةً واصطلاحاً

أولاً- تعريف الخيانة لغة:

الخيانة والخون لغة: أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح[٨]. يقال: خانه في كذا يخونه خوناً وخيانة ومخانة، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[٩]، ونقيض الخيانة الأمانة[١٠].

وأصل الخون النقص[١١]، كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه تخونه: إذا انتقص منه، يقال: تخونني فلان حقي، إذا تنقصك. لأن الخائن ينقص المخون شيئاً مما خانه فيه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه[١٢].

قال أحمد بن فارس: «الخاء والواو والنون أصل صحيح واحد، وهو النقص، يقال خانه ويخونه خوناً. وذلك نقصان الوفاء»[١٣]، والتخون له معنيان: أحدهما التنقص، والآخر التعهد، يقال خانه في العهد، وخانه العهد[١٤].

والخون الضعف[١٥]، والخيانة هي التفريط في الأمانة. لأن الخائن الذي يخون ما في يده من الأمانات.

وخائنة الأعين: ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل، أو هو نظر العين إلى ما نهيت عنه[١٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾[١٧]، هي النظرة المريبة المختلسة[١٨]، وقال الفيومي في معنى (خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ): «هي كسر الطرف بالإشارة الخفية وقيل هي النظرة عن تعمد»[١٩]، ولذلك يقال للأسد: خائن[٢٠]، والخوان المبالغ في الخيانة بالإصرار عليها[٢١].

ثانياً- تعريف الخيانة اصطلاحاً:

قال الإمام الراغب الأصفهاني: «الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين»[٢٢].

والخيانة هي عدم الإيفاء بالأمانة والعهد، أو هي جحود ما اؤتمن عليه، والخائن هو الذي خان ما جعل أميناً عليه[٢٣].

والخيانة هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر وضدها الأمانة[٢٤]، والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢٥].

وخيانة العبد ربه ألا يؤدي الأمانات التي ائتمنه عليها وتحملها[٢٦]. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾[٢٨]، فالاختيان مراودة الخيانة[٢٩]، ولم يقل تخونوا أنفسكم، لأنه لم يكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان

فالاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة[٣٠]، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٣١]، والتعامل مع العدو أثناء الحرب لإمداده بأسرار الدولة خيانة [٣٢].

يتبين لنا من كل ما سبق أن مصطلح (الخيانة) هو لفظ عام يدخل فيه أمانات الناس وغيرها مما افترض الله على عباده وائتمنهم عليه، فمن ضيع شيئاً مما أمره الله به، أو ركب أمراً مما نهى الله عنه أو عصى أمر رسوله ﷺ أو فرّط في الأمانة يعد خائناً. ومن أظهر خلاف ما يبطن فهو خائن، ففي الحديث: «**لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**»[٣٣]، أي أن يضمر في نفسه غير ما يظهره.

ومن ضيّع أمانات الناس فهو خائن، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله**»[٣٤]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**»[٣٥].

المبحث الأول
الخيانة بمعنى المعصية

أولاً- قال تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣٦].

١- مناسبة الآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه كيفية الصيام، والأعذار المبيحة له، أردف ذلك بذكر بقية أحكام الصوم، فبين أن صومنا امتاز برخصة لم تكن لمن قبلنا، ثم بين الخالق ﷻ مدة الصوم ونهايته فشرح وقته، وأزال بعض الأوهام[٣٧].

قال البيضاوي: «واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة، وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم، سميع

لأقوالهم، مجيب لدعائهم، مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه، ثم بين أحكام الصوم»[٣٨].

٢- سبب النزول:

روى ابن عباس ﷺ أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم أن ناساً من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب ﷺ، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية[٣٩].

وعن البراء بن عازب قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً- وفي رواية: كان يعمل في النخيل بالنهار وكان صائماً- فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلقُ فأطلب لك؛ وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك! فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية ففرحوا فرحاً شديداً[٤٠].

٣- تفسير الآية:

بعد أن بيّن الخالق سبحانه كيفية الصيام، والأعذار المبيحة له، أردف في هذه الآية بقية أحكام الصوم فقال تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ ومعنى قوله تعالى: **(أُحِلَّ لَكُمْ)** أي أطلق لكم وأبيح[٤١]، والرفث هو كناية عن الجماع في هذا الموضع[٤٢]، وقيل: **(ٱلرَّفَثُ)** كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من امرأته[٤٣].

وهذه الآية فيها رخصة من الله سبحانه وتعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم، إنما يحل له الأكل والشراب والجماع إلى صلاة العشاء أو نام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة فوجد في ذلك مشقة كبيرة[٤٤].

وقولـه تعـالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ قال الإمام الطبري: «إن قال لنا قائل: ما هذه الخيانة التي كان القوم يختانونها أنفسهم، التي تاب الله منها عليهم فعفا عنهم؟ قيل: كانت خيانتهم أنفسهم التي ذكرها الله في شيئين:

أحدها: جماع النساء.

الثاني: المطعم والمشرب في الوقت الذي كان حراماً ذلك عليهم»[٤٥]، وقد سمى الله تعالى هذا الفعل خيانة؛ لأن الإنسان قد اؤتمن على دينه فإذا فعل بخلاف ما أمر الله به ولم يؤد الأمانة فيه فقد خانه بمعصيته.

والاختيان هو تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة أو الخيانة البليغة، فيكون المعنى تنقصون أنفسكم تنقيصاً تاماً بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب، ويؤول إلى معنى تظلمونها بذلك[٤٦]، فكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لأنه جلب إليها العقاب، قال القرطبي: «وسمّاه خائناً لنفسه من حيث كان ضرره عائداً عليه»[٤٧]، وفي معنى قوله تعالى: **(فَتَابَ عَلَيْكُمْ)** احتمالان:

أحدهما: قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم.

الآخر: التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة.[٤٨].

قال ابن العربي: «وقال علماء الزهد: وكذا فلتكن العناية وشرف المنزلة، خان نفسه عمر بن الخطاب ﷺ فجعلها الله تعالى شريعة، وخفف من أجله عن الأمة فرضي الله عنه وأرضاه»[٤٩].

والمقصود من الآية الكريمة– والله تعالى أعلم– هو رفع ما توهمه بعض الصحابة من أن الأكل أو الشرب أو الجماع لا يجوز ما داموا قد ناموا بعد فطرهم؛ لأن الله تعالى رؤوف رحيم بهم ولم يشرع لهم ما فيه حرج أو مشقة عليهم، والآية تسوق لنا لوناً من ألوان رحمة الله تعالى بعباده فيما شرع لهم من فرائض وأحكام.

وقوله تعالى: **(فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ)**، هو كناية عن الجماع؛ والمعنى فالآن إذا أحللت لكم الرفث إلى نسائكم، فجامعوهن في ليالي شهر رمضان حتى يطلع الفجر، وهو تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكل شيء في القرآن من ذكر المباشرة فهو الجماع نفسه[٥٠].

والأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ للإباحة، وليس معنى قوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ﴾ إشارة إلى تشريع المباشرة حينئذ بل معناه فالآن اتضح الحكم فباشروهن ولا تختانوا أنفسكم(٥١).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، هو الولد(٥٢)، وقال آخرون: بل ما أحله الله لكم ورخصة لكم(٥٣)، وقال ابن عاشور: «ما أباحه من مباشرة النساء في غير وقت الصيام»(٥٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾، المعنى: وكلوا بالليل في شهر صومكم، واشربوا وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده(٥٥).

والآية فيها إشارة إلى ما شرعه الخالق سبحانه وتعالى لعباده خلال شهر الصوم من إباحة غشيان الزوجة ليلاً، ومن جواز الأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكأن الصحابة كانوا يتحرجون عن ذلك ظناً منهم أنه من تتمة الصوم، ورأوا أن لا صبر لأنفسهم عن الأكل والشرب والجماع ليلاً، فبين الله لهم أن ذلك حلال لا حرج فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾، يعني تعالى لا تجامعوا نساءكم في حال عكوفكم في المساجد، لأن الجماع يفسد الاعتكاف(٥٦)، و قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾، أي إن هذه الأشياء التي بينها الله تعالى في كتابه من الأكل والشراب والجماع في شهر رمضان نهاراً في غير عذر، وجماع النساء في حال الاعتكاف في المساجد، قد حرمتها عليكم، فلا تقربوها، وابتعدوا عنها ولا تأتوها، فتستحقوا بها العقوبة ما يستحقه من تعدّى حدودي، وخالف أمري وركب معاصيّ(٥٧). وسميت الأوامر والنواهي حدود الله، لأنها تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها، وأن تخرج عنها ما هو منها(٥٨)، ثم ختم الخالق ﷻ الآية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

والمعنى كما بينت لكم أيها الناس واجب وفرائض ما عليكم من الصوم، وعرفتكم حدوده وأوقاته، وما عليكم منه في الحضر، وما لكم فيه في السفر والمرض، وما اللازم لكم تجنبه في حال اعتكافكم في مساجدكم فأوضحت جميع ذلك لكم، فكذلك أبين أحكامي،

وحلالي، وحرامي، وحدودي، وأمري، ونهيي، في كتابي وتنزيلي، وعلى لسان رسولي محمد ﷺ للناس (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول تعالى: أبين لهم ذلك ليتقوا محارمي ومعاصيّ، ويتجنبوا سخطي وغضبي، بتركهم ركوب ما أبين لهم في آياتي أني قد حرّمته عليهم، وأمرتهم بهجره وتركه[٥٩].

ثانياً- قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٦٠].

١- مناسبة الآية:

لما ختم الخالق ﷻ الآية السابقة بما هو في غاية النصح منه لهم من الإيواء والنصر والرزق الطيب المشار به إلى الامتنان بإحلال المنعم وختم ذلك بالحث على الشكر، نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في أوامره بالغلول أو غير ذلك[٦١].

قال الدكتور وهبة الزحيلي: «لما ذكر الله تعالى رزق العباد من الطيبات وأنعم عليهم بالنعم الجليلة، منعهم هنا من الخيانة في الغنائم وغيرها من التكاليف الشرعية»[٦٢].

٢- سبب النزول:

ذكر الواحدي أن هذه الآية نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذربيجان وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فيه هذه الآية[٦٣].

فلما نزلت الآية شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقيل يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو

الذي يحلني فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع عن مالي، فقال رسول الله ﷺ: يجزيك الثلث أن تتصدق به(٦٤).

تفسير الآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة نعمته على أهل الإيمان وكيف أنه تعالى جعل لهم مأوى يتحصنون فيه من عدوهم وهو (المدينة المنورة) وقواهم ونصرهم يوم بدر حتى هزموا المشركين بعد أن كانوا ضعفاء أذلة، يقهرهم الكفار في أرض مكة، يأتي النداء في هذه الآية القرآنية وينبه المؤمنين على أن مخالفة الله تعالى في أوامره ومن أشدها– إفشاء سر الأمة للأعداء– خيانة لله ولرسوله وخيانة للأمة.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾، جاء ضمن سلسلة من النداءات لأهل الإيمان يحذرهم من العصيان الخفي، فالخالق سبحانه بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ حذرهم من أن يظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه، والآية فيها تحذير للمؤمنين(٦٥).

قال ابن عطية: «هذا خطاب لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة، وهو يجمع أنواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها»(٦٦).

والذي يتأمل هذه الآية القرآنية يجد أن النهي جاء في بداية الآية كما أنه موجه للمؤمنين، وعن ابن مسعود ﷺ قال: «**إذا سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه**»(٦٧).

والمعنى يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله والرسول وخيانتهم الله ورسوله كانت، بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر، وهو يستتر الكفر والغش لهم في الباطن، ويدلون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم(٦٨)، وفي خيانة الله قولان:

الأول: ترك فرائضه.

الثاني: معصية رسوله(٦٩).

وفي خيانة رسوله قولان:

الأول: مخالفته في السر بعد طاعته في الظاهر.

الثاني: معصية رسوله[٧٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن خيانة الله سبحانه بترك فرائضه، والرسولﷺ بترك سنته وارتكاب معصيته»[٧١]، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار الملازمة للإنسان والمتعدية الضرر للآخرين، ثم سمي العاصي من المسلمين خائنا؛ لأنه اؤتمن على دينه فخان[٧٢].

ومعنى قوله تعالى: **(وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ)**، قال ابن عباس: الأمانات هي الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة، يقول: **(لَا تَخُونُواْ)** أي لا تنقصوها[٧٣]، وقال صاحب المنار: أي لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم وبين أولياء أموركم من الشؤون السياسية ولاسيما الحربية وفيما بينكم[٧٤]، وقال آخرون: معنى الأمانات هاهنا، الدين[٧٥].

وقد دلت هذه الآية على تحريم الخيانة المتعمدة مطلقاً، وإيجاب الأمانة: وهي أداء التكاليف الشرعية، والأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، أي الفرائض والحدود، والحذر من الإخلال بالواجبات، والتقصير في أداء الفرائض، وإفشاء الأسرار، وعدم رد الودائع والأمانات إلى أصحابها، وتضييع حقوق الآخرين.

المبحث الثاني
الخيانة بمعنى السرقة

قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ ﴾[٧٦].

١- مناسبة الآية:

اتصال هذه الآيات بما قبلها يرجع إلى ما مضى من وصف أحوال المنافقين ومناصريهم، فالخالق ﷻ لما شرح أحوال المنافقين وما يتصل بها من أحكام مثل قتل المسلم خطأ وصلاة المسافر، وصلاة الخوف، رجع بعد ذلك إلى بيان أحوال المنافقين، لأنهم كانوا يحاولون (حمل) الرسول ﷺ على أن يحكم بالباطل ويترك الحكم الحق، فأطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لا يلتفت إليهم ولا يقبل قولهم في هذا الباب[٧٧].

فالخالق ﷻ لما أمر بالمجاهدة مع الكفار، بين أن الأمر وإن كان كذلك، لكنه لا تجوز الخيانة معهم ولا إلحاق ما لم يفعلوا بهم، وأن كفر الكافر لا يبيح المسامحة بالنظر له، بل الواجب في الدين أن يحكم له أو عليه، بما أنزل الله على رسوله، وأن لا يلحق الكافر حيف لأجل أن يرضى المنافق بذلك[٧٨].

يقول الدكتور وهبة الزحيلي رابطاً بين هذه الآيات وما قبلها: «هذه الآيات استمرار في تحذير المؤمنين من المنافقين، والاستعداد لمجاهدتهم، ومن أخطر حالات الحذر: القضاء بين الناس، فعلى المؤمنين القضاء بالحق والعدل دون محاباة أحد»[٧٩].

٢- سبب النزول:

أنزلت هذه الآيات في قصة واحدة، وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، قال قتادة: فالتمست

الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وماله به من علم فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلى طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فكلموه في ذلك فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهمّ رسول الله ﷺ أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ الآية[٨٠].

٣- تفسير الآية:

علمنا من سبب النزول أن هذه الآيات نزلت في تبيين الحقيقة، وكانت درساً قاسياً وعظيماً لإحقاق الحق والفصل في الأمر وإبعاد الظلم عن اليهودي، وقد بين كتاب الله أن الحق أحق أن يتبع إذ ظهر أن طعمة قد سرق الدرع ثم خبأها عند اليهودي، وبإنزال هذه الآيات أعطى الله تعالى درسا بليغا للمسلمين وهو أن مهمة هذا الدين تحقيق العدالة بين الناس جميعا، ولا يحابي مسلما ولا يمالي حاكماً ولا شريفاً.

يقول سيد قطب: «هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف الأرض لها نظيرا، ولا تعرف لها البشرية شبيها، ففي الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة على الإسلام والمسلمين والتي حكت هذه السورة جانبا منها، وينشرون الأكاذيب، ويؤلبون المشركين، ويطلقون الإشاعات، ويشككون في الوحي والرسالة، وفي هذا الوقت الحرج والخطر، كانت هذه الآيات كلها تتنزل على رسول الله ﷺ وعلى الجماعة المسلمة، لتنصف رجلا يهوديا، اتهم ظلما بالسرقة، فأي مستوى هذا من النظافة والعدالة»[٨١].

يقول الله تعالى مخاطبا رسوله محمداً ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[٨٢].

وهذه الآية فيها تشريف للنبي ﷺ وتكريم وتعظيم وتفويض إليه، وتقويم أيضا على الجادة في الحكم، وتأنيب على ما رفع إليه من بني أبيرق[٨٣]. والمعنى إنا أنزلنا إليك يا محمد القرآن لتحكم بين الناس بما أعلمك الله وألهمك وأوصى إليك فتفصل بينهم[٨٤]. وهذه الآية تدل على أنه ﷺ ما كان يحكم إلا بالوحي والنص[٨٥].

وقال الماوردي: «قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، يحتمل وجهين:

أحدها: بما أعلمك الله أنه حق.

الثاني: بما يؤديك اجتهادك إليه أنه حق»(٨٦).

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، لها معنى خاص، وهو النظر بنور الله تعالى في الأقضية التي يقضى فيها، فالقاضي لكي يكون قضاؤه عادلاً لا بد من أمرين:

أحدها: قانون عادل هو الحق من كل نواحيه، وهو هنا الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الثاني: أن يكون فحصه للقضية ببصيرة نيرة، وقلب مشرق مدرك(٨٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾، أي لا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله خصيماً تخاصم عنه أو تدافع عنه من طالبه بحقه الذي خان فيه(٨٨)، يعني لا تخاصم اليهود لأجل المنافقين(٨٩). والمقصود بالخائنين هنا هم بنو أبيرق أو طعمة ومن يعينه، أو من يسير بسيرته(٩٠).

وهذه القصة تدل على أن طعمة وقومه كانوا منافقين،لأنهم طلبوا الباطل، وإلا لما طالبوا الرسول ﷺ إلصاق تهمة السرقة باليهودي على سبيل التخرص والبهتان(٩١). وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد، وثقب حائطا ليسرق، فسقط الحائط عليه فمات(٩٢).

والخالق ﷻ في هذه الآية نهى رسوله ﷺ عن عضد أهل التهم والدفاع عنهم بما يقوله خصمهم من الحجة وفي هذا دليل على أن النيابة عن المبطل والمتهم في الخصومة لا تجوز(٩٣). فلا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق(٩٤)، والخطاب هنا للنبي ﷺ والمراد عموم الأمة(٩٥)، فهذه الآيات الكريمة وإن كانت قد نزلت في حادثة معينة، إلا أن توجيهاتها وأحكامها تتناول جميع المكلفين في كل زمان ومكان.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»(٩٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، المعنى استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين؛ فأمره بالاستغفار لما هم بالدفع عنهم وقطع يد اليهودي(٩٧)، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ

﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾، لم يزل يصفح عن ذنوب عباده، ويغفر الذنب العظيم لمن استغفره وتاب إليه وأناب[٩٨]، وقيل: إن النبي ﷺ لم يكن خاصم عن الخائن، ولكنه هم بذلك، فأمره الله بالاستغفار مما همّ به من ذلك[٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾، والمراد بالذين يختانون أنفسهم طعمة ومن عاونه من قومه ممن علم كونه سارقا[١٠٠].

واعلم أن في الآية تهديداً شديداً وذلك لأن النبي ﷺ لما مال بطبعه قليلا إلى جانب طعمة، وكان في علم الله أن طعمة كان سارقا، فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من إعانة المذنب، فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالما ثم يعينه على ذلك الظلم، بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشد ترغيب[١٠١].

وقوله تعالى:﴿مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾، أي خوانا في الدرع أثيما في رميه اليهودي[١٠٢]، وإنما قال الخالق ﷻ (خواناً) مع أن الصادر عنه خيانة واحد، وإثم واحد، لأن الله تعالى علم أنه كان في طبع ذلك الرجل الخيانة الكثيرة والإثم الكبير، فذكر اللفظ الدال على المبالغة بسبب ما كان في طبعه من الميل إلى ذلك[١٠٣]، والمراد به طعمة بن أبيرق ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق[١٠٤].

وهذه الآيات فيها إرشاد لكل قاض أن ينظر الى المتخاصمين نظرا غير متحيز لكي يستمع إلى البيانات والأدلة ويكون منصفاً ومقدرا، ويجعل الأدلة هي التي توجهه إلى الحق ولا يوجهها[١٠٥]، فالمسألة لم تكن مجرد تبرئة رجل (يهودي) بريء، تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام، إنما كان أكبر من ذلك، كانت هي إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية، وتبين أن الحق أحق أن يتبع بغض النظر عن من كان صاحبه[١٠٦].

كما تشير هذه الآيات أن على كل قاضٍ أن يستغفر الله دائما في أقضيته لأنه لا يدري لعله أصاب الباطل، فالعصمة لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾، فالأمر في ظاهره للنبي ﷺ، وهو في عمومه لكل أمته، ولكل قاضٍ يفصل بين الناس[١٠٧].

المبحث الثالث
الخيانة بمعنى نقض العهد

أولاً- قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١٠٨).

١- مناسبة الآية:

بعد أن بين الله تعالى حال مشركي قريش في قتالهم لرسول الله ﷺ ببدر قفى على ذلك بذكر حال فريق آخر من الكفار الذين عادوا النبي ﷺ وقاتلوه وهم اليهود الذين كانوا في بلاد الحجاز. ثم ذكر سبحانه ما يجب أن يعمل مع أمثالهم من الخونة، وبين أن الرسول ﷺ آمن من عاقبة كيدهم ومكرهم. فبعد أن ذكرهم حكم ناقض العهد حين سنوح الفرصة، قفّى على ذلك بحكم من لا ثقة بعهودهم من الكفار(١٠٩).

٢- سبب النزول:

قال الإمام القرطبي: «وهذه الآية نزلت في بني قريظة وبني النضير»(١١٠)، روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: «دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلنا في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾، الآية(١١١).

٣- تفسير الآية:

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم من لا ثقة بعهودهم من الكفار الذين يخشى منهم نقضها عندما تسنح لهم الفرصة فقال: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً) والمعنى إن توقعت يا محمد من قوم معاهدين خيانة وغشا ونكثا للعهد بوجود إمارات ظاهرة وقرائن تنذر بها، فاقطع عليهم الطريق قبل وقوعها بأن تنبذ إليهم عهدهم، أي تعلمهم بفسخه، وتنذرهم بأنك غير مقيد به ولا مهتم بأمرهم، بطريق واضح لا خداع فيه ولا استخفاء(١١٢)، وسمي ناقض العهد خائنا، لأنه اؤتمن بالعهد فغدر ونكث، والظاهر أن هذه الآية عامة في كل معاهد يخاف من وقوع النقض منه(١١٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾، أي اطرح

عليهم عهدهم، على طريق مستو ظاهر[١١٤]، قال الشوكاني: «على جهر لا على سر»[١١٥]، والمعنى وأعلمهم قبل حربك إياهم بأنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب عليهم، وهم يثقون بك، فيكون ذلك خيانة وغدراً[١١٦].

والحكمة في هذا النبذ لعهد من ذكر بل العلة له أن الإسلام لا يبيح الخيانة مطلقا، فكيف تقع من أكمل البشر الذي كان يلقبه أهل وطنه منذ تمييزه بالأمين ثم بعثه إليهم ليتمم مكارم الأخلاق[١١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾، أي وإن الخيانة مبغوضة عند الله بجميع ضروبها، حتى ولو في حق الكافرين لا يحبها أيضا، ولا وسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا ظهرت أمارتها إلا بنبذ عهدهم جهرة[١١٨].

روى أبو داود والترمذي عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية والروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، «وفاء لا غدر»؛ فنظروا فإذا هو عمرو بن عنبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء**» فرجع معاوية بالناس[١١٩].

وفي الآية دلالة واضحة على وجوب المحافظة على العهود مع الأعداء، وتحريم الخيانة معهم[١٢٠].

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**»[١٢١]، وذكر العلماء إنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره لما في ذلك من المفسدة[١٢٢]، والآية فيها دلالة على جواز معاهدة الكفار لمصلحة، ووجوب الوفاء بالعهد إذا لم يظهر منهم إمارة الخيانة، وتدل على إباحة نبذ العهد لمن توقع منهم غائلة مكر، وأن يعلمهم بذلك لئلا يعيبوا علينا خوض الحرب مع العهد.

والخلاصة من هذه الآية أنه تعالى أمر بنبذ من ينقض العهد على أقبح الوجوه، وأمر أن يتباعد عن أقصى الوجوه من كل ما يوهم نكث العهد ونقضه، والآية سيقت لذم من خان رسول الله ﷺ، ونقض عهده[١٢٣].

ثانياً- قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١٢٤).

١- مناسبة الآية:

بعد أن ذكّرنا الله تعالى بميثاقه الذي واثقنا به على السمع والطاعة لخاتم النبيين محمدﷺ، بيّن لنا في هذه الآية أخذ الميثاق على اليهود والنصارى، وما كان من نقضهم له، ومن عقابه لهم على ذلك، في الدنيا بضروب الذلة والمسكنة، وفي الآخرة بالخزي والعذاب، لنعتبر بحالهم، ونبتعد عن أن نكون على مثالهم، وليشرح لنا العلة في كفرهم بالنبي ﷺ، وسبب تصديهم لإيذائه وعداوة أمته، وليتم الحجة عليهم بما تراه من ذكر المحاجة، وبيان أنواع كفرهم وضلاله(١٢٥).

فبعد أن بين الله سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق ووعيده لهم إن كفروا بعد ذلك، وذكر أنهم نقضوا مرة بعد مرة، كما تقدم في سورة البقرة وغيرها، بين سبحانه في هذه الآية جانبا من رذائلهم، ومن العقوبات التي عاقبهم بها بسبب فسوقهم عن أمره(١٢٦).

٢- تفسير الآية:

في هذه الآية القرآنية يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ: يا محمد لا تعجب من هؤلاء اليهود الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليك والى أصحابك، ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم، غدرا منهم بك، وبأصحابك، فإن ذلك من عاداتهم وعادات سلفهم، ومن ذلك أني أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتي، وبعثت منهم اثني عشر نقيباً وقد تخيروا من جميعهم ليتحسسوا أخبار الجبابرة، ووعدهم النصر عليهم، وأن يورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، بعد ما أريتهم من العبر والآيات- بإهلاك فرعون وقومه في البحر، وفلق البحر لهم وسائر العبر- ما أريتهم فنقضوا ميثاقهم الذي واثقوني ونكثوا عهدي، فلعنتهم بنقضهم ميثاقهم(١٢٧).

قال الإمام الرازي: «وفي نقضهم الميثاق وجوه:

الأول: بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء.

الثاني: بكتمانهم صفة محمد ﷺ.

الثالث: مجموع هذه الأمور»[١٢٨].

قال ابن عباس: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ قال: «هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه»، والهاء والميم في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ عائدتان على ذكر بني إسرائيل[١٢٩].

ثم أخذ الله تعالى في بيان ما أحل بهم من العقوبات التي استحقوها عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده وهي:

١- أن ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال:

احدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس.

الثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن.

الثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء[١٣٠].

وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾، أي أبعدناهم عن الحق، وطردناهم عن الهدى والرحمة عقوبة لهم[١٣١].

٢- قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، بمعنى لا تعي خبرا ولا تفعله[١٣٢]، وقال ابن كثير: «فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقسوتها»[١٣٣]، وقيل: يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين[١٣٤]، وقيل: المراد سلبناهم التوفيق واللطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[١٣٥].

٣- أنهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وهذا التحريف يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغيير اللفظ[١٣٦]، والمعنى أن هؤلاء أفسدت أفهامهم وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزل، وحملوه على غير مراده، وبدلوه وغيروه أي إن التحريف نوعان:

- تحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص.
- تحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له[١٣٧].

قال المراغي: «وكل منهما وقع في التوراة وغيرها من كتبهم»[١٣٨].

وعبّر الخالق سبحانه بقوله: (يُحَرِّفُونَ) بصيغة الفعل المضارع، لاستحضار صورة هؤلاء المحرفين، وللدلالة على أن أبناءهم قد نهجوا نهج آبائهم في هذا الخلق الذميم، وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار(١٣٩).

٤- أنهم (وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا) والمعنى تركوا نصيبا كبيرا مما أمروا به في كتابهم من وجوب اتباعهم للحق، وإيمانهم بمحمد ﷺ عند ظهوره(١٤٠)، وقيل حرفوا التوراة فسقطت ذلك أشياء منها عن حفظهم(١٤١)، وعن ابن مسعود ﷺ قال: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها»(١٤٢).

٥- الخيانة المستمرة (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ).

أي إنك أيها النبي لا تزال تطلع من هؤلاء اليهود على خيانة إثر خيانة، فهذه عادتهم وكان عليها أسلافهم، كانوا يخونون الرسل، وهؤلاء يخونونك بنكوث عهودك ويظاهرون المشركين على حربك، ويهمون بقتلك وأن يسموك(١٤٣).

والمعنى لا تزال أيها الرسول الكريم ترى من هؤلاء اليهود المعاصرين لك صورة السابقين في الغدر والخيانة وإن تباعدت الأزمان، فكأنه تعالى يقول له إن ما تراه منهم من غدر وخداع ليس شيئا مستبعدا، بل هو طبيعة فهم ورثوها عن آبائهم منذ زمن طويل، فلا تعجب إذا كانوا قد خانوا العهد معك(١٤٤).

والآية فيها تحذير لرسوله ﷺ من شرورهم ومسالكهم الخبيثة لكيد الإسلام والمسلمين، فإن التعبير بقوله: (وَلَا تَزَالُ) المفيد للدوام والاستمرار يدل على استمرار خيانتهم ودوام نقضهم لعهودهم ومواثيقهم(١٤٥).

وقوله تعالى: (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) المراد بالقليل الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين نصحوا لله تعالى ورسوله(١٤٦).

يقول سيد قطب في قوله تعالى: (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ) هو خطاب للرسول ﷺ يصور حال يهود في المجتمع المسلم في المدينة، فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله ﷺ. وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة بل كانت هذه هي حالهم طول إقامتهم معه في المدينة- ثم في الجزيرة كلها- وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ.

على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الإسلامي الوحيد الذي آواهم ورفع عنهم الاضطهاد(١٤٧).

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود، يقول الله تعالى: اعف، يا محمد عن هؤلاء اليهود الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك والى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروههم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه(١٤٨).

قال ابن كثير: «وهذا هو عين النصر والظفر»(١٤٩)، وكان قتادة يقول: هذه منسوخة، ويقول نسختها آية براءة(١٥٠)، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(١٥١).

ما يستفاد من هذه الآية:

١- الإخبار عن نقض اليهود المواثيق، وأن جزاء النقض اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى.

٢- الإعلام بأن اليهود يحرفون كلام الله المنزل في التوراة، إما تحريف ألفاظ، وإما تحريف معان.

٣- إيثار العفو والصفح على العقاب والمحاربة والقتل والإيذاء(١٥٢).

المبحث الرابع
الخيانة بمعنى الخلاف في الدين

أولاً- قال تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١٥٣).

١- مناسبة الآية:

لما أخذ رسول الله ﷺ الفداء من الأسرى شق عليهم أخذ أموالهم، فأنزل الله هذه الآية استمالة لهم وترغيبا في الإسلام ببيان ما فيه من خيري الدنيا والآخرة، وتهديدا وإنذارا لهم ببقائهم على الكفر وخيانته ﷺ وبشارة للنبي ﷺ، بحسن العاقبة والظفر له ولمن تبعه من المؤمنين(١٥٤).

٢- تفسير الآية:

قال الإمام الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ** ﴾، أي وإن يرد هؤلاء الأسرى الذين في أيديكم **(خِيَانَتَكَ)** أي الغدر بك والمكر والخداع، والاستمرار في محاربتك ومعاداتك، بإظهارهم لك الميل إلى الإسلام بالقول خلاف ما في نفوسهم، فلا تبتئس ولا تخف مما عسى أن يكون من خيانتهم وعودتهم الى القتال فإنهم قد خانوا الله من قبل(١٥٥).

وبين الزمخشري أن معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ** ﴾، أي نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم(١٥٦)، وقال أبو حيان: «هي كونهم أظهر بعضهم الإسلام ثم رجعوا إلى دينهم»(١٥٧).

وفي تفسير هذه الخيانة وجوه:

الأول: أن المراد منه الخيانة في الدين وهو الكفر، يعني وإن كفروا بك فقد خانوا الله من قبل.

الثاني: أن المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء(١٥٨).

الثالث: روي أنه ﷺ لما أطلقهم من الأسر عهد معهم أن لا يعودوا إلى محاربته والى معاهدة المشركين، وهذا هو العادة فيمن يطلق من الحبس والأسر، فقال: (**وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ**) أي نكث هذا العهد فقد خانوا الله من قبل(١٥٩).

فالقرآن الكريم يخبر عن هؤلاء الكفار أنهم قد خانوا الله وخالفوا أمره من قبل وقعة بدر، بكفرهم وجحودهم لنعمه سبحانه فكانت نتيجة ذلك أن أمكنك منهم قتلا وأسرا، وأظفرك بهم، وسينصرك أنت وصحبك عليهم بعد ذلك كما نصرك عليهم ببدر، مع قلة عَدَدكم وعُدَدكم، وكثرتهم، فالله تعالى عليم ببواطنهم وضمائرهم، وبما يسرونه ويعلنونه، حكيم في تدبيره وصنعه فيجازيهم بأعمالهم(١٦٠).

وفي هذه الآية عدة عبر منها:

١-إنه يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان، وإنذارهم عاقبة الخيانة إذا ثبتوا على الكفر وعادوا إلى البغي والعدوان.

٢-أن فيها بشارة للمؤمنين باستمرار النصر وحسن العاقبة في كل قتال يقع بينهم وبين المشركين ما داموا محافظين على أسباب النصر المادية والمعنوية(١٦١).

٣-الآية الكريمة فيها إنذار وتهديد للأسرى إذا ما استحبوا العمى على الهدى، وتبشير للرسول ﷺ أنه يتمكن من كل من يخونه وينقض عهده، وأن خيانتهم سيكون وبالها عليهم.

ثانياً- قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(١٦٢).

١- مناسبة الآية:

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالتوبة النصوح والندم على ما فات، وعدم العودة فيما هو آت، وأمر رسوله بجهاد الكافرين والمنافقين والغلظة لهم في القول والعمل، ذكر هنا أن النفوس إن لم تكن مستعدة لقبول الإيمان، وفي وجوهها صفاء ونقاء، فلا تجدي فيها العظة والعبرة ولا مخالطة المؤمنين المتقين، وضرب لذلك المثل بامرأة نوح وامرأة لوط. فقد كانتا في بيت النبوة ولم يلن قلبهما للإيمان والإسلام(١٦٣).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال: مثل للكفار ومثلين للمؤمنين ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ وتحذيرهن من التظاهر عليه، وإنهن إن لم يُطِعْن الله ورسوله، ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصالهما بهما»(١٦٤).

وقال الإمام البقاعي: «وكان المفتتح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع الأمر بالتأديب لجميع الأمة إلى أن ختم بهلاك المخالف في الدارين، وكان للكفار قرابات مع المسلمين وكانوا يظنون أنها ربما تنفعهم، وللمسلمين قرابات بالكفار وكانوا ربما توهموا أنها تضرهم»(١٦٥).

٢- تفسير الآية:

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: «ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين»(١٦٦).

والمعنى ضرب الله مثلا بين به حال الكافرين الذين لم ينتفعوا بعظات المؤمنين الصادقين من النبيين والمرسلين لظلمة قلوبهم وسوء استعدادهم وفساد فطرتهم فامرأة نوح وامرأة لوط كانتا في عصمة نبيين يمكنهما أن ينتفعا بهديهما ويحصلان ما فيه سعادتهما في معاشهما ومعادهما لكنهما أبتا ذلك وعملتا ما يدل على الخيانة والكفر(١٦٧).

قال ابن كثير: «وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم»(١٦٨).

فالخالق سبحانه جعل حالة هاتين المرأتين عظة وتنبيها للذين كفروا، أي ليذكرهم بأن الله تعالى لا يصرفه عن وعيده صارف فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله، ولا أن مكانهم من جوار بيته وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم بل لا بد من الإيمان بالله أولاً، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١٦٩)، فلو كان صارفاً يصرف الله عن غضبه لكان أولى الأشياء بذلك مكانة هاتين المرأتين من زوجيهما رسول رب العالمين(١٧٠).

ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح، لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم، وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح، لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة، وليكون في ذكرهما عقب ما سيقت من تمالؤ أمّي المؤمنين على زوجهما ﷺ تعريض لطيف بالتحذير من فرط الاعتزاز بغناء الصلة الشريفة عنهما في الوفاء بحق ما يجب من الإخلاص للنبي ﷺ ليكون الشبه في التمثيل أقوى(١٧١).

وقد أجمع المفسرون على أن الخيانة هنا ليست زوجية وإنما هي الخيانة في الدين(١٧٢)، ومعنى قوله تعالى: **(فَخَانَتَاهُمَا)** أي في الدين، فلم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدّقاهما في الرسالة، لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل امرأة أحد أنبيائه بغيا(١٧٣)، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن(١٧٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط»(١٧٥)، وقد أخطأ وذهب عن الهدى وجادة الصواب من نسب لهما فاحشة الزنى وهذا لا يجوز لأن الله تعالى أكرم أنبياءه أن تتعاطى واحدة من أزواجهم الفجور، بل هن شريفات مصونات لحرمة الأنبياء، فقد صان الله جميع الأنبياء من ذلك.

وبيّن الماوردي أن في خيانتهما أربعة وجوه:

أحدها: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: أنهما منافقتين تظهران الإيمان وتستتران الكفر، وهذه خيانتهما.

الثالث: أن خيانتهما النميمة، إذا أوصى الله تعالى إليهما أشياء أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابرة به، وخيانة امرأة لوط أنها كانت إذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف، لما كانوا عليه من إتيان الرجال(١٧٦).

وقوله تعالى: ﴿يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾، فيه بيان لما أصابهما من سوء العاقبة بسبب خيانتهما. أي إن نوحاً ولوطاً عليهما السلام مع جلالة قدرهما لم يستطيعا أن يدفعا شيئاً من العذاب عن زوجتيهما الخائنتين لهما(١٧٧).

ما يستفاد من هذه الآية:

١- أن الله تعالى قطع بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره.

٢- في هذه الآية بيان أن العلاقة الزوجية لا تنفع شيئا من الكفر، وقد بين الله تعالى لنا ما هو أهم من ذلك في عموم القرابات قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١٧٨].

٣- في هذه الآية إشارة إلى أن الكفرة يعاقبون بكفرهم، ولا يداعون بما بينهم وبين النبي ﷺ من الواصلة كما هو حال أبي طالب عم النبي ﷺ.

المبحث الخامس
الخيانة بمعنى الزنا

قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[١٧٩].

١- مناسبة الآية:

لما عاد رئيس السقاة إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه سُرّ الملك بذلك، وعلم أنه تأويل مناسب مع الرؤيا فقال: ائتوني بيوسف، فلما جاؤوا ليوسف ليطلبوا منه أن يخرج من السجن أبى حتى يعرف أمره على حقيقته قال الرازي: «وهذا يدل على فضيلة العلم، فإنه ﷻ جعل علمه سبباً لخلاصه من المحنة الدنيوية، فكيف لا يكون سببا للخلاص من المحن الأخروية»[١٨٠].

كذلك طلب إلى الرسول أن يعود ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلما سألوهن قلن معاذ الله أن يكون يوسف هم بالسوء، فهو شاب عفيف نزيه، ولما سمعت امرأة العزيز بشهادة النسوة، قالت زوجة العزيز الآن ظهر الحق وانكشف وبان، أنا دعوته إلى نفسي وأعترف أمامكم بخطيئتي، وإنه لصادق فيما يقول، بريء مما نسبته إليه من الخيانة: وهذا اعتراف منها ببراءته على رؤوس الأشهاد[١٨١].

قال الصابوني عن مناسبة الآية: «لما أراد الله الفرج عن يوسف وإخراجه من السجن، رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أفزعته، فجمع السحرة والكهنة والمنجمين وأخبرهم بما

رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ليكون سببا في خلاص يوسف من السجن»(١٨٢).

٢- تفسير الآية:

ذهب أكثر المفسرين الى أن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾، هو من كلام يوسف عليه السلام(١٨٣)، والمعنى أن هذا الفعل الذي فعلته، من ردّي رسول الملك إليه، وترك إجابته والخروج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيدهن، وإنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب(١٨٤).

ولاشك إن امتناع يوسف عليه السلام من الذهاب إلى الملك بعد التحقيق في قضيته، يدل دلالة واضحة على صبره وسمو نفسه وعلو همته، وقد أجاد صاحب الكشاف في تعليله لامتناع يوسف عن الخروج من السجن للقاء الملك إلا بعد أن أثبت براءته فقال: «إنما تأنى وتثبت يوسف في إجابة الملك، وقدم سؤال النسوة، ليظهر براءة ساحته عما قذف به وسجن فيه، لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلون سلما إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا: ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم، وجرم كبير، حق به أن يسجن ويعذب، ويستكف شره»(١٨٥).

قال الفخر الرازي الذي فعله يوسف عليه السلام من الصبر والتوقف إلى أن يفحص الملك عن حاله هو الأليق بالحزم والعقل من وجوه:

١- أنه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثرها، فلما التمس من الملك أن يتفحص عن تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة.

٢- أن الإنسان الذي بقي في السجن اثنتي عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر إلى الخروج، فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات، وذلك يصير سببا لأن يعتقد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم.

٣- أن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله في تلك النسوة يدل أيضا على شدة طهارته(١٨٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ قال ابن عباس: «لا يصوب عمل الزناة»(١٨٧). والمعنى أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم، وإنما يبطله، ولا يسدده، ولا ينفذه، وتكون عاقبة الكيد الفضيحة والنكال(١٨٨).

يتبين لنا مما سبق أن يوسف عليه السلام كان مثال الكمال والإنسان الأعلى للاقتداء به في العفة والصيانة والشرف، ولم يمسه أدنى سوء من فتنة النسوة، وتبين لنا أيضا أن مصير الخيانة الكيد والفشل والاضمحلال وعدم تحقيق النتائج.

الخاتمة

١- تبين لنا أن مصطلح الخيانة في القرآن الكريم يحمل معانيَ متعددة منها: المعصية، السرقة، نقض العهد، الخلاف في الدين، الزنا، وهكذا فالمصطلح واحد، لكن المعاني التي جاء بها متعددة وحسب السياق القرآني.

٢- تبين لنا مما سبق أن مصطلح الخيانة هو لفظ عام يدخل فيه أمانات الناس وغيرها مما افترض الله على عباده وائتمنهم عليه، فمن ضيّع شيئا مما أمره الله به، أو ركب أمرا مما نهى الله عنه أو عصى أمر رسوله ﷺ أو فرط في الأمانة يعد خائنا، ومن أظهر خلاف ما يبطن فهو خائن، ومن ضيع أمانات الناس فهو خائن.

٣- لابد للمسلم أن يعلم أن الدين أمانة، وأن الإنسان قد اؤتمن على دينه فإذا فعل بخلاف ما أمره الله تعالى به ولم يؤد الأمانة فيه فقد خانه بمعصيته، وقد سمي العاصي من المسلمين خائناً؛ لأنه قد اؤتمن على دينه فخان.

٤- تبين لنا مما سبق أن خيانة الله سبحانه تكون بترك فرائضه وخيانة رسوله تكون بترك سنته وارتكاب معاصيه.

٥- دلت الآيات السابقة على تحريم الخيانة المتعمدة مطلقا، وإيجاب الأمانة وهي أداء التكاليف الشرعية، والأعمال التي ائتمن الله عليها العباد من الفرائض والحدود، والحذر من الإخلال بالواجبات، والتقصير في أداء الطاعات، وتضييع حقوق الآخرين.

٦- تبين لنا مما سبق أن الخيانة عند الله بجميع ضروبها، حتى ولو في حق الكافرين لا يحبها أيضا، فلابد من المحافظة على العهود والمواثيق حتى مع الأعداء وتحريم الخيانة

معهم؛ لأن الله لا يحب الخائنين، ولا وسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا أظهرت أماراتها إلا بنبذ عهدهم جهرة.

٧- نبه الله تعالى المؤمنين على أن مخالفة الله تعالى في أوامره ومن أشدها إفشاء سر الأمة للأعداء من خلال التعامل مع العدو أثناء الحرب لإمداده بأسرار الدولة يعد خيانة لله ولرسوله وخيانة للأمة.

٨- أخبر القرآن الكريم عن الكفار أنهم قد خانوا الله ورسوله وخالفوا أوامره بكفرهم وجحودهم لنعمه سبحانه، فكانت نتيجة ذلك أن أمكن الله رسوله منهم فانتصر عليهم فكانت العاقبة له ولمن تبعه من المؤمنين.

٩- تبين لنا مما سبق أن اليهود كانوا يخونون الرسل وينقضون العهود والمواثيق، وأن الله جزاهم عن ذلك النقض باللعن والطرد من رحمة الله تعالى، وأن هذه الطبيعة التي ورثوها عن آبائهم منذ زمن طويل أصبحت عادة فيهم. فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله ﷺ ولا تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدى التأريخ.

١٠- تبين لنا مما سبق أن خيانة امرأة نوح ولوط هي خيانة في الدين، وليست الخيانة الزوجية. فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وإنما لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فصارتا خائنتين بالكفر.

١١- تبين لنا مما سبق أن مصير الخيانة الفشل والاضمحلال وعدم تحقيق النتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٢) شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: ٧٨/٤ حديث رقم: ٤٣٥٤.

(٣) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٥) المسند للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني ت٢٤١هـ: ٤١٤/٣ حديث رقم: ١٥٤٦٢، سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت٢٧٥هـ، باب في الرجل يأخذ

حقه من تحت يده: ٢٩٠/٣ حديث رقم: ٣٥٣٥، المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله النيسابوري ت٤٠٥هـ، كتاب البيوع: ٥٣/٢، حديث رقم: ٢٢٩٦.

(٦) سورة الحج الآية: ٣٨.

(٧) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، باب إثم الغادر للبر والفاجر: ١١٦٤/٣، حديث رقم: ٣٠١٥، صحيح مسلم مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، باب تحريم الغدر: ١٣٥٩/٣ حديث رقم: ١٧٣٤.

(٨) ينظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ: ٣٠٩/٤، لسان العرب لابن منظور ت٧١١هـ: ١٤٤/١٣، القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت٨١٧هـ: ١٥٤١، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني ت١٢٥٠هـ: ١٩٤/٩، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، د.سعيد الخوري: ٣١٠/١.

(٩) سورة الأنفال الآية: ٥٨.

(١٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٣هـ: ١٨٠، وينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت٧٥٦ هـ: ٥٤٣/١، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ: ٥٨٢/٢.

(١١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٢هـ: ٢١٠٩/٥، معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ: ٢٣١/٢، مجمل اللغة أحمد بن فارس: ٢٢٨/٢، لسان العرب لابن منظور: ١٤٤/١٣، القاموس المحيط: ١٥٤١، تاج العروس: ١٩٤/٩، المعجم الوسيط الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله: ٢٦٣/١، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ٣١٠/١.

(١٢) ينظر: الصحاح للجوهري: ٢١١٠/٥، مجمل اللغة: ٢٢٨/٢، معجم مقاييس اللغة: ٢٣١/٢، لسان العرب: ١٤٤/١٣، تاج العروس: ١٩٤/٩، المعجم الوسيط: ٢٦٣/١.

(١٣) معجم مقاييس اللغة: ٢٣١/٢.

(١٤) لسان العرب: ١٤٥/١٣.

(١٥) القاموس المحيط: ١٥٤٢، تاج العروس: ٩/ ١٩٤.

(١٦) ينظر: كتاب العين: ٣٠٩/٤، أساس البلاغة محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ: ٢٥٥، لسان العرب: ١٤٥/١٣، تاج العروس: ١٩٤/٩، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي: ٤٣٤/١.

(١٧) سورة غافر الآية: ١٩.

(١٨) ينظر: القاموس المحيط: ١٥٤٢، المعجم الوسيط: ٢٦٣/١.

(١٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت٧٧٠هـ: ١٨٤/١.

(٢٠) ينظر: كتاب العين: ٣٠٩/٤.

(٢١) المعجم الوسيط: ٢٦٣/١.

(٢٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٨٠، وينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٥٤٣/١، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم سميح عاطف الزين: ٣٠٦.

(٢٣) ينظر: الترجمان والدليل لآيات التنزيل للشيخ أحمد محمود الشنقيطي: ٧٦.

(٢٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٠، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٥٤٣/١، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٨٢/٢، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٠٦.

(٢٥) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٢٦) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٥٤٣/١.

(٢٧) سورة الأحزاب الآية: ٧٢.

(٢٨) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

(٢٩) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٨٢/٢.

(٣٠) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٨١، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٥٨٢/٢.

(٣١) سورة يوسف الآية: ٥٣.

(٣٢) ينظر: الموسوعة الفقهية: ١٩٠/٢٠.

(٣٣) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام: ٥٩/٣، حديث رقم ٢٦٨٣، المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله النيسابوري، كتاب المغازي والسرايا: ٤٧/٣، حديث رقم ٤٣٦٠.

(٣٤) سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم: ٣٢٥/٤، حديث، رقم ١٩٢٧.

(٣٥) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، باب علامة المنافق: ٢١/١، حديث رقم ٣٣، صحيح مسلم مسلم بن الحجاج القشيري، باب بيان خصال المنافق: ٧٨/١، حديث رقم ٥٩.

(٣٦) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

(٣٧) ينظر: تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي: ٢/ ٧٧، الأساس في التفسير سعيد حوى: ٤١٩/١، زهرة التفاسير محمد أبو زهرة: ٥٦٤/٢.

(٣٨) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت٧٩١هـ: ١٠٦/١.

(٣٩) ينظر: أسباب النزول علي بن أحمد الواحدي:٣٠، لباب النقول في بيان أسباب النزول جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ: ٥٠.

(٤٠) ينظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٠- ٣١، أسباب النزول للسيوطي: ٥٠.

(٤١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ: ٩٢٨/٢.

(٤٢) ينظر المصدر السابق: ٩٢٩/٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٢٠/١، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير علي بن محمد الشوكاني ت١٢٥٠هـ: ٢٣٢/١.

(٤٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: ٢٠٨/٢.

(٤٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٢٠/١.

(٤٥) جامع البيان: ٩٣١/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢

(٤٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٢١/١.

(٤٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢.

(٤٨) ينظر: المصدر السابق نفسه، فتح القدير: ٢٣٣/١.

(٤٩) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المشهور بابن العربي ت٥٤٣هـ: ١٢٩/١.

(٥٠) ينظر: جامع البيان: ٩٣٦/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢.

(٥١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٨٣/٢.

(٥٢) ينظر: جامع البيان: ٩٣٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٢١/١.

(٥٣) ينظر: جامع البيان: ٩٣٨/٢.

(٥٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٨٣/٢.

(٥٥) ينظر: جامع البيان: ٩٣٩/٢.

(٥٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٩/٢.

(٥٧) ينظر: جامع البيان: ٢١٩/٢.

(٥٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٢/٢، فتح القدير: ٢٣٤/١.

(٥٩) ينظر: جامع البيان: ٩٥٣/٢.

(٦٠) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٦١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ت٨٨٥هـ: ٢٦١/٨.

(٦٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي: ٣١٣/٥.

(٦٣) أسباب النزول للواحدي: ١٣٣، أسباب النزول للسيوطي: ١٩٥.

(٦٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي: ١٣٣، تهذيب سيرة ابن هشام عبد السلام هارون: ٥/٢.

(٦٥) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٢١/٩.

(٦٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبد الحق بن عطية الأندلسي: ٢٦٨/٦.

(٦٧) الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ: ٣٣/٢.

(٦٨) ينظر: جامع البيان: ٣٨١٦/٥، صفوة التفاسير محمد علي الصابوني: ٤٦٥/١.

(٦٩) ينظر: جامع البيان: ٣٨١٨/٥، زاد المسير في علم التفسير جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ: ٢٦٢/٣.

(٧٠) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢٦٢/٣.

(٧١) جامع البيان: ٣٨١٨/٥- ٣٨١٩، تفسير القرآن العظيم: ٣٠١/٢، فتح القدير: ٣٨٦/٢.

(٧٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠١/٢.

(٧٣) جامع البيان: ٣٨١٨/٥، تفسير القرآن العظيم: ٣٠١/٣، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين محمد الآلوسي: ٢٨٣/٩.

(٧٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار محمد رشيد رضا: ٥٣٦/٩.

(٧٥) ينظر: جامع البيان: ٣٨١٩/٥، زاد المسير: ٢٦٢/٣، تفسير الجلالين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي: ٢٣١.

(٧٦) سورة النساء الآيات: ١٠٥- ١٠٧.

(٧٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/١١، اللباب في علوم الكتاب عمر بن علي بن عادل ت٨٨٠هـ: ٣/٧، التحرير والتنوير: ١٩١/٥.

(٧٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/١١، اللباب في علوم الكتاب: ٣/٧.

(٧٩) التفسير المنير: ٢٧٦/٥.

(٨٠) ينظر: أسباب النزول للواحدي: ١٠٢، أسباب النزول للسيوطي: ١٤٢.

(٨١) في ظلال القرآن: ٧٥١/٢.

(٨٢) سورة النساء الآية: ١٠٥.

(٨٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٧/٥.

(٨٤) ينظر: جامع البيان: ٢٠٢١/٣، الكشاف: ٥٥٠/١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣٥/١، إرشاد العقل السليم: ١٩٤/٢.

(٨٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/١١.

(٨٦) النكت والعيون للماوردي: ٥٢٨/١.

(٨٧) ينظر: زهرة التفاسير: ١٨٣٩/٤.

(٨٨) ينظر: جامع البيان: ٢٥٢١/٣.

(٨٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/١١.

(٩٠) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود الآلوسي: ٢٠٥/٥.

(٩١) ينظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب: ٦/٧، التفسير المنير: ٧٦/٥.

(٩٢) ينظر: تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٥٥/١، تفسير اللباب: ٦/٧.

(٩٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٥.

(٩٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٣/٥.

(٩٥) ينظر: زهرة التفاسير: ١٨٤٠/٤.

(٩٦) صحيح البخاري، باب موعظة الإمام للخصوم: ٢٦٢٢/٦ حديث رقم: ٦٧٤٨، وينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٠٣/٦، حديث رقم: ٢٥٧١١.

(٩٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٥.

(٩٨) ينظر: جامع البيان: ٢٥٢١/٣، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت١٣٧٦هـ: ٢٥٠.

(٩٩) ينظر: جامع البيان: ٢٥٢٢/٣.

(١٠٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٨/١١.

(١٠١) ينظر: المصدر نفسه.

(١٠٢) ينظر: المصدر نفسه.

(١٠٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ: ٥٥١/١، مفاتيح الغيب: ٢٩/١١.

(١٠٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٥٥/١.

(١٠٥) ينظر: زهرة التفاسير محمد أبو زهرة: ١٨٤٠/٤.

(١٠٦) ينظر: في ظلال القرآن سيد قطب: ٧٥٢/٢.

(١٠٧) ينظر: زهرة التفاسير: ١٨٤٠/٤.

(١٠٨) سورة الأنفال الآية: ٥٨.

(١٠٩) ينظر: تفسير المراغي: ١٩/١٠.

(١١٠) الجامع لأحكام القرآن: ٥٢/٨، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن صديق بن حسن بن علي القنوجي ت١٣٠٧هـ: ١٩٩/٥.

(١١١) أسباب النزول للسيوطي: ٢٠٢.

(١١٢) ينظر: جامع البيان: ٣٨٧٧/٥- ٣٨٧٨، الكشاف: ٢٢٣/٢، مفاتيح الغيب: ١٤٦/١٥، فتح القدير: ٤٠٨/٢، فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٩٩/٥، تفسير المنار: ٤٢/١٠- ٤٣، تفسير المراغي: ٢٢/١٠.

(١١٣) ينظر: فتح القدير: ٤٠٨/٢.

(١١٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤٦/١٥.

(١١٥) فتح القدير: ٤٠٨/٥.

(١١٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٣/٨، تفسير القرآن العظيم: ٣٢٠/٢.

(١١٧) ينظر: تفسير المنار: ٤٢/١٠- ٤٣، تفسير المراغي: ١٩/١٠.

(١١٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٢٠/٢، تفسير المراغي: ١٩/١٠.

(١١٩) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه: ٨٣/٣، حديث رقم: ٢٧٥٩، سنن الترمذي باب ما جاء في الغدر: ١٤٣/٤، حديث رقم: ١٥٨٠ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١٢٠) ينظر: التفسير المنير: ٣٩١/١٠.

(١٢١) صحيح مسلم باب تحريم الغدر: ١٣٥٩/٣، حديث رقم: ١٧٣٤.

(١٢٢) الجامع لأحكام القرآن: ٥٣/٨.

(١٢٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤٦/١٥.

(١٢٤) سورة المائدة الآية: ١٣.

(١٢٥) ينظر: تفسير المراغي: ٧٢/٥.

(١٢٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٦/٦.

(١٢٧) ينظر: جامع البيان: ٢٧٨٤/٤.

(١٢٨) مفاتيح الغيب: ١٤٧/١١، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٦/٦.

(١٢٩) جامع البيان: ٢٧٨٤/٤.

(١٣٠) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ١٨٥/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٦٢/٦.

(١٣١) تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٤٨/٢- ٢٤٩، فتح القدير: ٢٧/٢، روح المعاني: ١٣١/٦، التفسير المنير: ٤٧٥/٦، تيسير الكريم الرحمن: ٢٨٧.

(١٣٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦٢/٦.

(١٣٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢.

(١٣٤) ينظر: جامع البيان: ١٢٦/١٠، روح المعاني: ١٣٢/٦، زهرة التفاسير: ٢٠٧٨/٤.

(١٣٥) ينظر: زهرة التفاسير: ٢٠٧٨/٤.

(١٣٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤٨/١١.

(١٣٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢، فتح القدير: ٢٧/٢، تفسير المراغي: ٧٤/٥، التفسير المنير: ٤٧٥/٦.

(١٣٨) تفسير المراغي: ٧٤/٥.

(١٣٩) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبي السعود محمد بن محمد العمادي: ٢٩٤/٢، روح المعاني: ١٣٢/٦، التحرير والتنوير: ١٤٣/٦.

(١٤٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤٨/١١.

(١٤١) ينظر: روح المعاني: ١٣٢/٦.

(١٤٢) الدر المنثور: ٤١/٣، روح المعاني: ١٣٢/٦.

(١٤٣) ينظر: الكشاف: ٦٠٣/١، فتح القدير: ٢٨/٢.

(١٤٤) ينظر: روح المعاني: ١٣٣/٦، زهرة التفاسير: ٢٠٨١/٤.

(١٤٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٤/٦.

(١٤٦) ينظر: زاد المسير: ١٨٥/٢، مفاتيح الغيب: ١٤٨/١١، روح المعاني: ١٣٣/٦، التفسير الواضح الميسر محمد علي الصابوني: ٢٤٩.

(١٤٧) في ظلال القرآن: ٨٥٩/٢.

(١٤٨) ينظر: جامع البيان: ٢٧٨٧/٤.

(١٤٩) تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢.

(١٥٠) جامع البيان: ٢٧٨٧/٤، زاد المسير: ١٨٦/٢.

(١٥١) سورة التوبة الآية: ٢٩.

(١٥٢) ينظر: التفسير المنير: ٤٧٩/٦.

(١٥٣) سورة الأنفال الآية: ٧١.

(١٥٤) ينظر: تفسير المراغي: ٣٨/١٠.

(١٥٥) ينظر: جامع البيان: ٣٩٠٣/٥.

(١٥٦) الكشاف: ٢٣١/٢، وينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١١٥/٣.

(١٥٧) البحر المحيط في التفسير محمد بن يوسف الشهير لأبي حيان الأندلسي ت٧٥٤هـ: ٣٥٦/٥.

(١٥٨) مفاتيح الغيب: ١٦٤/١٥.

(١٥٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٦٤/١٥.

(١٦٠) ينظر: جامع البيان: ٣٩٠٣/٥، مفاتيح الغيب: ١٦٤/١٥، روح المعاني: ٥٣/١٠، تفسير المراغي: ٤٠/١٠.

(١٦١) ينظر: تفسير المراغي: ٤٠/١٠.

(١٦٢) سورة التحريم الآية: ١٠.

(١٦٣) ينظر: تفسير المراغي: ١٦٧/٢٨.

(١٦٤) التفسير القيم للإمام ابن القيم ت٧٥١هـ: ٤٩٧.

(١٦٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٠٧/٢٠.

(١٦٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٢٩/١٨.

(١٦٧) ينظر: تفسير المراغي: ١٦٨/٢٨.

(١٦٨) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٩٣.

(١٦٩) سورة التوبة الآية: ١٩.

(١٧٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٤/٢٤.

(١٧١) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(١٧٢) ينظر: جامع البيان: ٨١١٣/١٠، النكت والعيون تفسير الماوردي علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت٤٥٠هـ: ٤٦/٦، الكشاف: ٥٥٩/٤، زاد المسير: ٨٤/٨، مفاتيح الغيب:

٤٤/٣٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٩/١٨، تفسير القرآن العظيم: ٣٩٣/٤، الدر المنثور في التفسير المأثور عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ: ٢٢٨/٨، روح المعاني: ٢٤١/٢٨، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: ٣٨١/٨، صفوة التفاسير محمد علي الصابوني: ٣٨٧/٣، التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي: ٦٦٠/٢٨.

(١٧٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩٣/٤، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣٨١/٨، الأساس في التفسير: ٦٠٠٨/١٠، التفسير الواضح: ٦٦/٢٨، التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي: ٢٦٩٣/٣.

(١٧٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣٨١/٨.

(١٧٥) التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني المشهور بابن تيمية ت٧٢٨هـ: ٢٣١/٧. وينظر تفسير القرآن العظيم: ٣٩٣/٤، الدر المنثور في التفسير المأثور: ٢٢٨/٨، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٢١/١٤- ٢٢٢، الأساس في التفسير: ٦٠١٥/١٠، التفسير الوسيط: ٢٦٩٣/٣.

(١٧٦) النكت والعيون: ٤٦/٦- ٤٧، وينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٨٤/٨، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٢١/١٤-٢٢٢.

(١٧٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣٠/١٨، روح المعاني: ٢٤٢/٢٨.

(١٧٨) سورة الشعراء الآيتان: ٨٨-٨٩.

(١٧٩) سورة يوسف الآية: ٥٢.

(١٨٠) مفاتيح الغيب: ١٢٣/١٨، وينظر التفسير المنير: ٦١٩/٦.

(١٨١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢٣/١٨، اللباب في علوم الكتاب: ١٢٥/١١.

(١٨٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني: ٥٠/٢.

(١٨٣) ينظر:جامع البيان: ٤٥٦٥/٦، الكشاف: ٤٦١/٢، زاد المسير: ١٨٣/٤، مفاتيح الغيب: ١٢٣/١٨، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٣٦/٧، صفوة البيان لمعاني القرآن حسنين محمد مخلوف: ٣١٠.

(١٨٤) ينظر: جامع البيان: ٤٥٦٥/٦.

(١٨٥) الكشاف: ٤٦٢/٢.

(١٨٦) مفاتيح الغيب: ١٢٤/١٨، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٢٥/١١.

(١٨٧) زاد المسير: ١٨٤/٤-١٨٥، وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١٩٩، تفسير المنار: ٢٦٧/١٢، التفسير المنير: ٦٢٣/١٢، صفوة التفاسير: ٥٢/٢.

(١٨٨) ينظر: جامع البيان: ٤٥٦٥/٦، روح المعني: ٣٩٣/١٢، تفسير المنار: ٢٦٧/١٢، التفسير المنير: ٦٢٣/١٢، صفوة التفاسير: ٥٢/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) (ت٩١١هـ)، حقق أصوله ووثق نصوصه: طه عبد الرؤوف سعد، دون ذكر الطبعة والتأريخ (المكتبة التوفيقية) مصر.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود (محمد بن محمد بن مصطفى العمادي) (ت٩٨٢هـ)، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٣. أساس البلاغة، الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر) (ت٥٣٨هـ)، الطبعة الثانية (دار الكتب) ١٩٧٢م.
٤. الأساس في التفسير، سعيد حوى، (ت١٤٠٦هـ)، الطبعة الأولى (دار السلام للطباعة والنشر) القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥. أسباب النزول، للنيسابوري (أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي) (ت٤٦٨هـ)، اعتنى به وليد الزكري (المكتبة العصرية) بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار)، (مكتبة العلوم والحكم) المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.
٧. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني (مطبعة مرسلي اليسوعية) بيروت، ١٨٨٩.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي) (ت٧٩١هـ) (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٩. البحر المحيط في التفسير، للأندلسي (محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي) (ت٤٥٠هـ)، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد (دار الفكر العربي) بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، (دار الفكر) دون ذكر الطبعة والسنة.
١٢. التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (الدار التونسية للنشر)، دون ذكر السنة والتأريخ.
١٣. الترجمان والدليل لآيات التنزيل، الشنقيطي (أحمد محمود)، الطبعة الأولى، (عالم الكتب) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٤. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، علق عليه محمد كريم بن سعيد راجح، (مكتبة النهضة) بغداد.
١٥. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (ت١٣٥٤هـ)، خرج آياته وشرح أحاديثه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٦. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي) (ت٧٧٤هـ)، (دار إحياء التراث العربي) بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٩٦م.
١٧. التفسير القيم، للإمام ابن القيم (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي) (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٨. التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم، ابن تيمية (أحمد عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي) (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة (دار الفكر العربي) بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٩. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي) (ت٦٠٤هـ)، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثالثة (مصر) ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية (دار الفكر) دمشق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٢. التفسير الواضح، الدكتور محمد محمود حجازي، الطبعة الرابعة (مطبعة الاستقلال الكبرى) القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٢٣. التفسير الواضح الميسر، محمد علي الصابوني، الطبعة الثامنة (الأفق للطباعة والنشر) مكة- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٤. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية (دار الفكر) بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، دون ذكر السنة.

٢٦. تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون (المكتبة الأموية) بيروت – لبنان.

٢٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٤٦هـ)، (جمعية أحياء التراث الإسلامي)، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (أبو جعفر محمد بن محمد بن جرير الطبري) (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون، الطبعة الأولى (دار السلام للطباعة والنشر) مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ت(٦٧١هـ)، الطبعة الأولى (دار أحياء التراث العربي) بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٠. الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) (ت٩١١هـ)، الطبعة الأولى (دار الفكر)، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي (شهاب الدين محمود) (ت١٢٧٠هـ)، قرأه وصححه محمد حسين العرب (دار الفكر للطباعة والنشر)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٣٢. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (ت٥٩٧هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٣. زبدة التفسير من فتح القدير، محمد سليمان عبد الله الأشقر، الطبعة الأولى (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٣٤. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي) القاهرة، دون ذكر السنة.
٣٥. سنن أبي داود، السجستاني (سليمان بن الأشعث الأزدي)، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (دار الفكر العربي) دون ذكر السنة.
٣٦. سنن الترمذي، الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (دار أحياء التراث العربي) بيروت، دون ذكر السنة.
٣٧. شعب الإيمان، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين) (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤١٠هـ.
٣٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (إسماعيل بن حماد الجوهري)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية (دار العلم للملايين) بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٩. صحيح البخاري، البخاري (محمد بن إسماعيل) (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ذيب البغا، الطبعة الثالثة (دار ابن كثير) اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار أحياء التراث العربي) بيروت، دون ذكر السنة.
٤١. صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، الطبعة الثالثة، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤٢. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (دار الفكر للطباعة) بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٤٣. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي (أحمد بن يوسف بن عبد الدائم) (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٤٤. فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (صديق حسن بن علي) (ت١٣٠٧هـ)، قدم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (دار أحياء التراث الإسلامي) قطر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٤٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) (ت١٣٥٠هـ)، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٤٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون (دار الشروق) القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٤٧. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (دار الشؤون الثقافية) ١٩٨٤م، دون ذكر السنة.
٤٨. الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر) (ت٥٣٨هـ)، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٠م.
٤٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، (ت١٠٩٤هـ) فهرسة الدكتور عدنان درويش، الطبعة الثانية (مؤسسة الرسالة) بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٠. لباب النقول في بيان أسباب النزول، للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) (ت٩١١هـ)، دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر (دار الفجر للتراث) القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٥١. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (أبي حفص عمر بن علي الدمشقي) (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٥٢. لسان العرب، لابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) (ت٧١١هـ), (دار الفكر) بيروت، دون ذكر السنة.
٥٣. مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، حققه: هادي حسن حمودي، الطبعة الأولى (منشورات معهد المخطوطات العربية) الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (أبي محمد عبد الحق بن عطية)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، الطبعة الأولى، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.
٥٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (عبد الله بن أحمد بن محمد) (ت٧٠١هـ)، (دار الكتاب العربي) بيروت– لبنان.
٥٦. المستدرك على الصحيحين، النيسابوري (محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم) (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية) بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٥٧. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، دون ذكر الطبعة والسنة.
٥٨. المصباح الكبير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان.
٥٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد) (ت٥٠٣هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية) بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م.

٦٠. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر للطباعة) ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٦١. المعجم الوسيط، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، أشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، الطبعة الثانية (دار الأمواج) بيروت– لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٦٢. الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٦٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر) (ت٨٨٥هـ)، الطبعة الأولى، (مكتبة ابن تيمية) القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٦٤. النكت والعيون، للماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري) (ت٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية) بيروت– لبنان.